

ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ ٢٧/٩/٢٠٢٤

المزيد من وقائع غزوة الخندق:

خيانة بني قريظة وحالة المسلمين:

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ:

لما كان جزء كبير من المدينة محمياً بالخندق، وفي الجانب الآخر كانت بعض التلال الصخرية، وغير ذلك، لذا لم يكن بإمكان الجيش شن هجوم مفاجئ. لذا قد اقترح الكفار بعد التشاور، أن يسعوا بطريقة ما لإقناع القبيلة اليهودية الثالثة التي كانت لا تزال في المدينة، وتسمى بنو قريظة، بالانضمام إليهم، وبذلك يفتحوا طريقاً للوصول إلى المدينة، فذهب حبي بن أخطب إلى حصون اليهود وطلب مقابلة زعماء بني قريظة. ونجح في النهاية في إقناع بني قريظة بالخيانة ونقض المعاهدة. إن انضمام بني قريظة إلى العدو في غفلة المسلمين عن ذلك، في وقت كان فيه جيش الكفار يشن هجوماً عنيفاً على الجيش الإسلامي، قد جعل من المستحيل تماماً حماية ذلك الجانب من المدينة حيث كانت حصون بني قريظة.

أرسل النبي ﷺ سلمة بن أسلم مع مئتي رجل وزيد بن حارثة مع ثلاثمائة رجل لحماية المدينة. وأمرهم أن يجرسوا في أماكن مختلفة أثناء الليل ويظلوا يكبرون من وقت لآخر.

لقد كتب حضرة صاحبزاده ميرزا بشير أحمد صاحب ﷺ:

"في ذلك الوقت، كان أفق المدينة مظلماً جداً من حيث الأسباب الظاهرية، مما خلق قلقاً وذعراً شديدين بين ضعاف المسلمين، أما المنافقون فبدأوا يقولون علناً: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٣) وبدأ بعض المنافقين يأتون إلى النبي ﷺ ويقولون: "يا رسول الله! إن بيوتنا في المدينة غير محفوظة تماماً، فهل تسمح لنا بالبقاء في بيوتنا لحمايتها؟" ورداً على ذلك، نزل الوحي الإلهي: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب: ١٤) لكن في الوقت نفسه كان هذا الموقف لإظهار إيمان المسلمين المخلصين. فقد قال القرآن: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)

لكن الجميع كانوا يدركون على حد سواء حساسية الموقف والجوانب الخطيرة للأوضاع. كما يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (الأحزاب: ١١)

كان ذلك الوقت حقاً وقت اختبار شديد للمؤمنين، وكان زلزالاً شديداً قد حل بالمسلمين.

نجد في التاريخ أن رسول الله ﷺ سأل الصحابة ولا سيما الأنصار عن التصالح مع غطفان، وكتب حضرة ميرزا بشير أحمد رحمته في هذا الصدد:

كانت هذه الأيام أيام شدة ومحنة وخطر عظيم على المسلمين، وكلما طال الحصار كان من المحتم أن تخور مقاومة المسلمين. ورغم أن قلوبهم كانت مليئة بالإيمان والإخلاص، إلا أن أجسادهم، التي تخضع لقانون الأسباب المادية، كانت تضحل. عندما رأى النبي ﷺ هذه الظروف، طلب سيدي الأنصار سعد بن معاذ وسعد بن عباد، وأطلعهما على الوضع بأكمله وطلب مشورتهم حول ما يجب فعله في هذه الظروف. فأجابا والله لن نعطيهم إلا حد السيف. " فلا بد من الحرب.

شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

في ضوء هذا الوضع المقلق، كانت هناك حراسة مستمرة في أماكن متعددة، وكان النبي ﷺ نفسه حاضراً شخصياً في هذه الحراسة. كان النبي ﷺ يقوم بالمراقبة بنفسه ويشجع الصحابة، وكان هذا العمل كله مستمراً خلال النهار والليل. وكانت ليالي المدينة حينها ليالي باردة جداً، بالإضافة إلى صعوبات الجوع.

يقول حضرة المصلح الموعود رحمته:

"كانت شجاعة الرسول الكريم ﷺ وحرصه على المسلمين بحيث كان يقوم في الليل في البرد ويذهب إلى ذلك المكان ويحرسه. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها أنه كان يتعب من الحراسة ويصاب بالإرهاق من البرد، فيعود ويستلقي معي تحت اللحاف لفترة قصيرة، ولكن بمجرد أن يدفأ جسمه، كان يعود لحراسة ذلك الشق. بسبب السهر المتواصل بهذه الطريقة، أصبح متعباً تماماً في أحد الأيام وقال في الليل: ليت هناك مسلماً مخلصاً الآن حتى أتمكن من النوم براحة. في تلك اللحظة، جاء صوت سعد بن وقاص رحمته من الخارج. سأل النبي ﷺ: لماذا جئت؟ قال: لحراستك. قال النبي ﷺ: لا أحتاج إلى حراسة. اذهب إلى المكان الفلاني حيث انكسر جانب الخندق واحرسه حتى يبقى المسلمون آمنين. فذهب سعد لحراسة ذلك المكان ونام النبي ﷺ.

(ديباجة تفسير القرآن، أنوار العلوم المجلد ٢٠ صفحة ٢٧٩)

شجاعة السيدة صفية رضي الله عنها: في أثناء هذه المعركة. ورد في تفصيله أنه كانت أزواج النبي ﷺ المطهرات، وعمته السيدة صفية بنت عبد المطلب مع نساء أخريات في حصن يسمى فارغ. وفي إحدى المرات جاء عشرة يهود وبدأوا يطوفون حول الحصن، كما لو كانوا يبحثون عن فرصة للدخول فأخذت السيدة صفية رضي الله عنها عموداً من هناك، ونزلت من الحصن وضربت رأسه بالعمود بقوة حتى شققت رأسه، فسقط في مكانه، ثم قطعت صفية رأسه ورمته به نحو اليهود. فخاف اليهود وقالوا: "كنا نعلم أن محمداً رحمته لا يترك النساء وحدهن. بالتأكيد هناك حراس معهن."

وفروا من هناك. عندما أُخبر رسول الله ﷺ بذلك، خصص للسيدة صفية رضي الله عنها نصيباً من الغنيمة كما يُخصص للرجال. (سبل الهدى والرشاد)
شجاعة سيدنا علي رضي الله عنه:

عندما حاصر جيش الكفار المدينة، اتفق قادتهم على شن هجوم معا في آن واحد. بدأوا في البحث عن مكان ضيق في الخندق حيث يمكنهم إرسال فرسانهم للوصول إلى النبي ﷺ وأصحابه. فوصلوا إلى نقطة ضيقة أخيراً غفل عنها المسلمون، فعبر عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد ود الخندق من هذا المكان. كان عمرو بن عبد ود شجاعاً لدرجة كان يُعدّ مساوياً لألف رجل في العرب. فنادى بصوت ملؤه الكبر والغطرسة: يا من ترغبون في الجنة! تعالوا لأرسلكم إلى الجنة، أو أرسلوني إلى جهنم، وضع النبي ﷺ عمامته على رأس عليٍّ وأعطاه سيفه، وأرسله للمبارزة داعياً له.

قفز عمرو من على حصانه وقطع ساقيه وألقاه أرضاً. ثم اندفع نحو عليٍّ ﷺ كشعلة نار وضربه بسيفه بقوة شديدة حتى قطع درعه وأصاب جبهته، مسبباً له بعض الجروح. وفي الوقت نفسه هتف عليٌّ ﷺ: الله أكبر، وضربه بسيفه بقوة بذل عمرو قصارى جهده لتفاديه. أصاب سيف عليٍّ ﷺ كتفه وقطعه حتى وصلت إلى الأسفل، فسقط عمرو وظل يتمرغ على الأرض حتى فارق الحياة. بعد مقتل عمرو بن عبد ود، أرسل الكفار رسالة إلى رسول الله ﷺ عرضوا فيها استرداد جثته مقابل عشرة آلاف درهم، فقال ﷺ: "خذوه، نحن لا نأكل ثمن الموتى".

وبحسب بعض الروايات، قُتل نوفل بن عبد الله في مناسبة أخرى. وبيان ذلك أنه ركب في أحد الأيام حصانه محاولاً القفز فوق الخندق، لكن الحصان لم يتمكن من عبور الخندق وسقط فيه مع راحته وهكذا أهلكه الله تعالى إذ قد انكسر عظم رقبتة عند السقوط.

أرسل المشركون وفداً لاسترداد جثته وعرضوا الدية على النبي ﷺ فقال: لسنا بحاجة إلى ديته، ولا نمنعكم من دفنه.

وحدث أنه في هذا الأسبوع يبدأ بمشيئة الله اجتماع لجنة إمام الله ومجلس أنصار الله، فقال حضرته أيده الله تعالى بنصره العزيز لعضوات لجنة إمام الله وأعضاء مجلس أنصار الله، أن يقضوا أوقاتهم في الدعاء في هذه الأيام بوجه خاص، ويتنبهوا إلى الصلاة على النبي ﷺ، وأن يسعوا جاهدين لتحقيق الهدف من الاجتماع، ولا يقضوا أوقاتهم في برامج ترفيهية أو في تبادل الأحاديث، وفقكم الله جميعاً لذلك وجعل هذين الاجتماعين مباركين من كل النواحي.